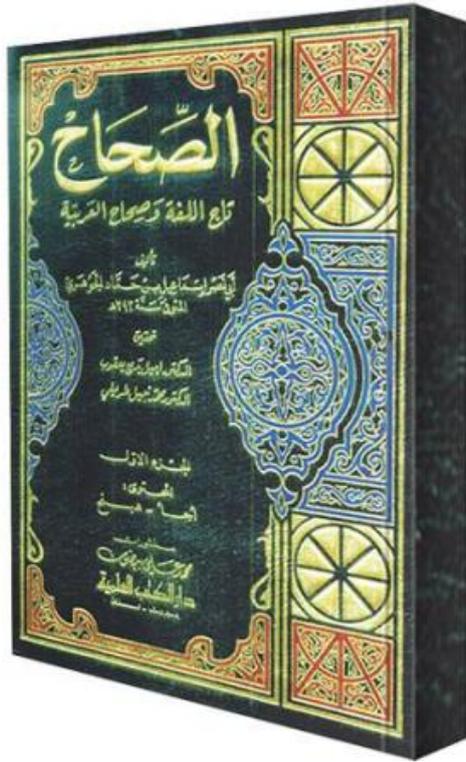


«الصحاح».. ثورة في تأليف المعاجم»



الشارقة: جاكاتي الشيخ

أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجَوْهَرِي (332هـ-393هـ/1003م)، عالم وإمام لغوي وشاعر، أصله من فاراب في كازاخستان حالياً، كان مُحِبّاً للسفر منذ بدايات حياته، فسافر إلى العراق شاباً، وبدأ تعلّم اللغة العربية على علمائها، ثم سافر بعد ذلك إلى الحجاز، وطوف بالكثير من قبائل البادية من بينها ربيعة ومضر، فأخذ اللغة العربية على أصولها مشافهة من العرب، وعاد إلى خراسان، وأقام في نيسابور مُدرّساً ومؤلفاً

درّس على الكثير من علماء اللغة، منهم خاله إبراهيم الفارابي، وأبو علي الفارسي، وأبو سعيد السيرافي، كما تتلمذ على يديه العديد من أعلام اللغة، منهم: أبو الحسين بن علي، وأبو إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق، وكان حكيماً في شعره الذي يُذكر منه قوله

لو كان لي بدٌّ من الناس

قطعت حبل الناس بالياس

العزُّ في العزلة لكنّه

لا بد للناس من الناس

وهو ثاني من حاول الطيران بعد عباس بن فرناس، ومات في سبيله، حيث يقول عنه ياقوت الحموي: «كان من أعاجيب الزمان، ذكاء وفطنة وعلماً»، وينقل عن عليّ بن فضال المجاشعي في كتابه «شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب» قوله: «كان الجوهري قد صنّف «الصحاح» لأبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي (أديب وواعظ ت. 453هـ)، وسمعه منه إلى باب الضاد المعجمة، ثم اعتريّ الجوهريّ وسوسة فانتقل إلى الجامع القديم في نيسابور، وصعد إلى سطحه، وقال: أيّها الناس إني عملتُ في الدنيا شيئاً لم أُسبق إليه فسأعمل للآخرة أمراً لم أُسبق إليه، وضمّ إلى «جناحيه مصراعي بابٍ وتأبطهما بحبل، وصعد مكاناً عالياً من الجامع وزعم أنه يطير فوق فمات

ومن أشهر الكتب التي ألفها: «تاج اللغة وصحاح العربية» المعروف اختصاراً بـ«الصحاح» أو «الصحاح في اللغة»، «وله كتاب في العروض بعنوان «عروض الورقة»، وكتاب في النحو بعنوان «المقدمة في النحو

تاج اللغة وصحاح العربية» أو «الصحاح» أو «الصحاح في اللغة» معجم لمفردات اللغة العربية، وهو من أهم الكتب التي ألفت في هذا المجال، ويعد عند علماء العربية من أجود المعاجم وأنفعها وأكثرها دقة وضبطاً، يقول مؤلفه الجوهري في مقدمته: «أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها على ترتيب لم أُسبق إليه وتهذيب لم أُغلب عليه»، فقد هدف من خلال تأليفه إلى جمع الصحيح من اللغة العربية والبعد عن الألفاظ الغريبة، وأحدث ظهوره ثورة في تأليف المعاجم، إذ خالف في ترتيبه نظام الخليل الفراهيدي في «العين»، الذي اعتمد مخارج الحروف، بينما اعتمد الجوهري في ترتيب «الصحاح» اتباع نظام القافية لسهولة هذا النظام على الباحث، فجعل الحرف الأخير باباً والأول فصلاً، كما أنه ترك نظام التقليلات واتباع النظام الهجائي العادي (أ ب ت ث... إلخ)، فإذا كانت الألف المهموزة هي أول حروف الهجاء فإنه يبدأ معجمه بباب يجمع فيه كل المفردات التي تنتهي بألف مهموزة، ثم يقسمه وفقاً لعدد حروف الهجاء، ولكنه جمع الواو والياء في باب واحد، وقدم الهاء على الواو واختتم معجمه بالألف اللينة، وكل ذلك سهّل البحث فيه، كما أبدى المؤلف عناية دقيقة بالمسائل النحوية والصرفية التي اعترضته، كما تميز بمنهجية نظامه وبساطته في نفس الوقت، وقد اشتمل على 40 ألف مادة

ضبط الكلمات

ويرى الباحثون أن من أهم ما يميّز هذا المعجم أنه اهتم بضبط الكلمات خشية من التحريف والتصحيف، وأوجز في شرح المفردات وتفسيرها واكتفى بالمراد من اللفظ دون تطويل وبسط في شرح الألفاظ، وكان التزامه بالقافية مساعداً للشعراء في تقفية شعرهم وللكتاب في سجع نثرهم، كما أنه لم يرتب الأبنية الثنائية والثلاثية وما فوقها، بل وضعها داخل الأبواب والفصول حسب ترتيبها الهجائي، وتميّر كذلك باهتمامه الواضح بلهجات العرب وإشارته إلى الفصح منها والرديء والمذموم والمتروك والنادر، مثل عجة قضاة، وهي إبدال الياء جيماً مع العين، كـ«الراعي» التي يقولون فيها «الراعي»، كما شكّل عرضه لبعض المسائل اللغوية غنىً لهذا المؤلف

ألهم هذا المعجم العديد من الأدباء واللغويين، مثل الإمام محمد بن أبي بكر الرازي الذي اختار بعض مواده وصنّفها في معجم سمّاه «مختار الصحاح»، وابن منظور الذي يقول عنه في مقدمة (لسان العرب): «رأيت أبا نصر إسماعيل بن

حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه، فحفّ على الناس أمره، فتناولوه وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه»، والفيرز آبادي الذي قال في مقدمة (القاموس المحيط): «رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري وهو جدير بذلك...»، ومحمد بن عبدوس النيسابوري الذي قال فيه

هذا كتاب الصحاح سيّد ما

صُنّف قبل الصحاح في الأدب

تشمل أبوابه وتجمع ما

فُرّق في غيره من الكتب

وقد حققه السيد أحمد عبد الغفور العطار وطبع في ستة أجزاء سنة 1956 في مصر

"حقوق النشر محفوظة لصحيفة الخليج. © 2024"